المصدر :
التاريخ :

الاتفاق صحيح

الدكتور جيمس زغبي

اعلن المعارضون رايهم في الاتفاق الاسرائيلي ـ الفلسطيني على «اعلان المبادئ». اذ تعرضت منظمة التحرير الفلسطينية للهجوم لانها «باعت» حقوق الفلسطينيين واذعنت للجبروت الاسرائيلي وخانت مهمتها التاريخية لاقامة دولة فلسطينية مستقلة وحماية اللاجئين الفلسطينيين وتخلت عن القدس.

والقراءة المتانية للاعلان تبين ان كل هذه التهم غير صحيحة. والواقع ان المفاوضين الفلسطينيين بموافقتهم على الاتفاق لم يتنازلوا عن اي من حقوقهم الاصلية سوى واحد: حق استخدام المقاومة المسلحة ضد الدولة الاسرائيلية. ولا بد من الاشارة الى ان هذا الحق اصبح عديم المعنى ويعود بنتائج عكسية لانه حق ادى الى المزيد من الاصابات الفلسطينية والمزيد من القمع لحقوق الفلسطينيين دون ان يعطي مكسبا له قيمته في حياة الشعب الفلسطيني.

ومن الواضح انه من خلال مواجهة دولة اسرائيل التي تتمتع بقوة هائلة لن تتردد في استخدامها بابشع الطرق والتي تساندها الدبلوماسية الامريكية، فان الكفاح الفلسطيني المسلح لم يكن سلاحا فعالا في اي وقت. وكل اصابة اسرائيلية وقع مقابلها ما معدله اربعون اصابة فلسطينية او مائة سجين او مصادرة الف دونم من الاراضي.

انني اعتقد ان الحقوق الفلسطينية لم تحتل صدارة الاهتمام العالمي نتيجة الاختطاف والقنابل. فالذي ابقى على القضية حية كل هذه السنوات كان صمود الشعب الفلسطيني وارادته السياسية وقوة المؤسسات الفلسطينية وعبقرية الدبلوماسية الفلسطينية، وشجاعة الامهات الفلسطينيات والآباء الفلسطينيين الذين غرسوا حب بلادهم في ابنائهم جيلا بعد جيل، وابداع الشعراء والفنانين الفلسطينيين ومحبة الشعوب والحكومات العربية والتزامها لما كان باستمرار قضيتها ايضا.

كل هذه كانت معا اشكالا من الكفاح السياسي غير العنيف. وقد وجدت افضل تعبير لها خلال السنوات الاولى من الانتفاضة عندما استطاعت حركة جماهيرية خلاقة وضع القضية الفلسطينية امام اعين العالم. فالاطفال بحجارتهم وباحتجاجاتهم العامة واضراباتهم وتطوير البنية الفلسطينية الاساسية ـ كل هذه اسلحة دفعت القضية الفلسطينية الى الامام.

ففي الولايات المتحدة فرضت الانتفاضة نقاشا عاما. فقد تحدى الاطفال الفلسطينيون الذين فقدوا حياتهم وهم يواجهون رصاص الاسرائيليين بالحجارة الضمير الامريكي بالطريقة نفسها التي فعل بها نلك المتظاهرون السود من أجل الحقوق المدنية في الولايات المتحدة.

الا ان حكومة ليكود المتعصبة والسياسة الخارجية الامريكية العاجزة عن التغير بسرعة احبطت الانتفاضة. ولذا فان شجاعة اولئك الاطفال وكفاحهم الذي كان خاليا في معظمه من العنف لم يحققا الجائزة التي يستحقونها. وجاءت عملية استغلال مؤتمر مدريد لتمكن الفلسطينيين من اقحام انفسهم كقوة مستقلة ولكن حتى هذا النجاح لم يحقق النصر لهم.

ولكن بعد عامين وبعد ان صارت عملية السلام معرضة للانهيار استطاع الفلسطينيون بذكاء انتزاع النصر من فكي الهزيمة. وخلال هذه العملية تنازلوا عن سلاح لم يعد يخدم قضيتهم وقبلوا العمل بالادوات السياسية والاقتصادية البحتة التي اختاروها.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ويقول الناقدون ان الفلسطينيين فقدوا قوة ضغطهم ولكن الواقع هو ان ضغطهم الحقيقي سيزداد كما ان قوتهم السياسية ستزداد ايضا. اذ ليس هناك حل عسكري للمشكلة السياسية. ومثلما لم تمن اسرائيل بالهزيمة فان ارادة الفلسطينيين هي اقوى سلاح لدى الشعب في هذا النضال من أجل التحرر الوطني. ولنسال انفسنا: اي جيش حرر لتوانيا، او اي جيش وحد المانيا؟

ان الشعب الفلسطيني بقبوله الحل على مراحل انما يقبل تحدي بناء البنية الاساسية لدولة من القاعدة الى الاعلى. فالمؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي لم يسمح الاسرائيليون اطلاقا ببنائها ستبدأ الآن في اخذ شكلها. وخلال سنتين الى خمس سنوات سيكون الفلسطينيون قد خلقوا واقعا وحقائق جديدة في فلسطين لا يمكن تغييرها. وهذه العوامل الجديدة اضافة الى ارادتهم للبقاء احرارا ومستقلين سوف تخلق الضغط الذي سيجعل الدولة حقيقة واقعة.

وسنتان الى خمس من بناء الازدهار والامن والمجتمع المتمدن المستقر سيكون لها اثر اضافي في تحويل الراي العام الاسرائيلي وانتهاء المقاومة الاسرائيلية وحتى اليهودية الامريكية للدولة الفلسطينية. وفي ذلك الجو السياسي الجديد سيكون في الوسع التفاوض على تلك القضايا التي تبدو الآن عسيرة الحل. ففي الاطار الجديد سيكون في الوسع كما قال وليد الخالدي «التفكير في ما لا يخطر على البال التفكير فيه».

ان المشكلة بالنسبة للنقاد السلبيين هي عدم قدرتهم على ادراك العملية والاعتراف بالتغيير. فهم يفترضون ان اسرائيل ستكون كما هي عليه الآن بعد ثلاث سنوات وان الفلسطينيين سيكونون في الوضع نفسه الذي هم فيه اليوم. لكن الواقع هو ان المجتمعين سيتغيران بصورة دراماتية خلال الفترة الانتقالية.

وهذا ليس معناه ان العملية ستكون سهلة. اذ لا يزال هناك الكثير من الامور التفصيلية التي لا بد من التفاوض عليها. الا ان رصيد الفلسطينيين السياسي في الولايات المتحدة تضاعف كما ان قوة ضغطهم ازدادت. وقدرة المنظمة على استخدام هذا الضغط لضمان انصياع اسرائيل لروح الاتفاق ونصه اعظم اليوم مما كانت عليه خلال عملية مدريد.

وبانسحاب اسرائيل من جميع مراكز السكان الفلسطينية واستعادة السلطة الكاملة في غزة واريحا ومع بدء التنمية الفلسطينية المستقلة في جميع الاراضي المحتلة لا بد ان يكون الاتفاق نصرا. لربما كان نصرا صغيرا ولكنه بالتاكيد خطوة على طريق نصر اكبر كثيرا.

ولما كنت شخصيا بين الحضور عند التوقيع على الاتفاق في واشنطن، ونظرا لانني اشتركت طوال الوقت منذ اكثر من عشرين سنة في الكفاح في امريكا من اجل الحقوق الفلسطينية فانني اود ان اضيف تطورين اخرين مثيرين حصلا نتيجة هذا الاتفاق.اذ ان الايام العشرة الماضية شهدت نسف خرافة وانتهاء احدى المحرمات اللتين كانتا تعيقان الحقوق الفلسطينية، بل تسببان مصاعب كاداء لاولئك الذين يؤيدون تلك الحقوق. اذ ان الحكومة الاسرائيلية بتفاوضها مع منظمة التحرير وتوقيعها الاتفاق معها واشارتها الى الشعب الفلسطيني اعترفت لأول مرة بوجود وشرعية شعب فلسطيني قومي متميز.

ففي الغرب كان العرف السياسي لسياسة الشرق الاوسط هو عدم اعتراف الفلسطينيين باسرائيل. اما بالنسبة للعرب ودول اخرى فقد كانت المشكلة هي عدم اعتراف اسرائيل ودول غربية كثيرة بالحقوق الوطنية الفلسطينية.

لقد كان الفلسطينيون يوصفون بانهم «لاجئون» او بانهم «عرب». وحتى في اسرائيل كانوا يوصفون بـ«الغرباء» الذين يقطنون ارض اسرائيل او «يهودا» و«السامرة». ولكن لم يكن الاسرائيليون يعترفون بهم ابدا كشعب مستقل.

لقد كان هناك افتراض واضح وصريح بانه اذا ما تم الاعتراف بالفلسطينيين كشعب متميز او كمجتمع قومي فانه سياتي الوقت الذي سيتم

الاعتراف بان لهم حقوقا وطنية وحقا في تقرير المصير واقامة الدولة.

ففي عام 1985 قال اسحق رابين في كلمة امام نادي الصحافة الوطني في واشنطن ان الحوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير امر «غير مقبول» لان «كل من يوافق على الحوار مع المنظمة انما يوافق على قبول مبدأ اقامة دولة فلسطينية بين اسرائيل والاردن».

وانا بصفتي ممن خاضوا المعارك في المؤتمرات العديدة للحزبين الجمهوري والديمقراطي في الولايات المتحدة استطيع ان اؤكد انه كان هناك رفض كامل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وتام بين مؤيدي اسرائيل لقبول حتى عبارة «الشعب الفلسطيني».

وهكذا فان مبدأ تحريم منظمة التحرير والشعب الفلسطيني كان امرا راسخا وكان يدور حول نقاط اساسية: لا محادثات مع المنظمة ولا اتصال معها ولا تفاوض معها. وكان اي سياسي امريكي يخرج على هذه المحرمات يدفع حياته السياسية ثمنا. ولهذا فان توقيع الاتفاق الاخير والمصافحة بين ياسر عرفات واسحق رابين ومصافحة عرفات مع كلينتون والسيل من الزوار الذين تدفقوا على فندق ياسر عرفات بمن في ذلك الرئيسان السابقان جورج بوش وجيمي كارتر وزعماء اليهود الامريكيين وزعماء الكونجرس. كل هذا يشير الى مدى التغيير الذي حدث خلال الاسابيع الاخيرة.

لقد انتهى التحريم، ولاول مرة ظهر هناك راي عام يتحدث عن الشعب الفلسطيني الذي يمثله قادته وزعماؤه الذين يعرضون مظالمهم وتاريخهم وامالهم للمستقبل.

ان بعض النقاد يرون ان عرفات اصبح مقبولا الآن لمجرد انه تنازل عن حقوق الفلسطينيين. لكن هذا الكلام يتجاهل نص الاتفاق الذي وقعه ابو مازن. صحيح ان عرفات ترك مسدسه وحمل غصن الزيتون فقط وصحيح انه قبل عملية مؤقتة بدلا من المطالبة بدولة فورية. ولكنه لم يتنازل عن حق الدولة او الحق في القدس او حق لاجئي عام 1948 في العودة.

والسياسيون والزعماء الامريكيون الذين جاؤوا لزيارة عرفات خير دليل. فالناس الذين لهم وزن في واشنطن لا يقضون وقتا مع الخاسرين. لقد جاؤوا وهم يدركون حق الادراك ان المنظمة فازت بنصر مهم وان عملية ولادة دولة قد بدأت.

وبالمثل ايضا كانت هناك عقبة كاداء تواجه العرب الامريكيين واليهود التقدميين الذين ينادون بحل الصراع العربي - الاسرائيلي على اساس الاعتراف المتبادل. اذ ان فكرة كون صراع الشرق الاوسط امرا يستحيل حله كانت تعقد العلاقات السياسية بين اليهود والعرب، بل تزيد من تعقيدات صنع السياسة الامريكية في وزارة الخارجية والكونجرس لا سيما من منطلق ما يعتبر عداوات تاريخية بين طرفي الصراع.

لهذا كانت قراءة النص الخاص باتفاق غزة - اريحا نوعا من الصدمة للثقافة السياسية في امريكا. فقد كان الاتفاق دقيقا ومعقدا وشاملا ومصوغا بمهارة

ليس فوقها مهارة ويسمح بالتفاهم والوفاق المستقبلي. كذلك كان الاتفاق نتيجة مفاوضات سرية صعبة وعسيرة بين الاسرائيليين والفلسطينيين انفسهم.

لهذا كان رد الفعل بين المحللين وصناع السياسة على السواء فور انكشاف النبأ نوعا من التبديد الكامل للخرافات السائدة. وبدا فورا وفجاة ان السلام اصبح امرا ممكنا وفي خطوة بارعة دعا الرئيس كلينتون رئيس الوزراء الاسرائيلي ورئيس منظمة التحرير الى البيت الابيض لتوقيع الاتفاق وتقديم شهادة علنية على بدء فصل جديد في تاريخ الشرق الاوسط. وعلى القدر نفسه من الاهمية كانت دعوة البيت الابيض لزعماء العرب الامريكيين واليهود الامريكيين لحضور حفل التوقيع ثم الى جلسة في البيت الابيض مع الرئيس ونائبه البرت غور ووزير الخارجية وارين كريستوفر.

وهكذا لم تكن النتيجة مجرد المصافحة بين رابين وعرفات، بل اعقب ذلك الحدث التاريخي في اليوم التالي خطوات قام بها العرب الامريكيون واليهود الامريكيون للمصالحة بين الطرفين. وبدأت فعلا الاجتماعات والمناقشات لوضع خطط للمساعدة في دعم الاتفاق. ولم يتحدث المجتمعون عن الماضي وانما ركزوا اعينهم على العمل المسهب اللازم من اجل بناء مستقبل افضل.

والواقع ان هناك الكثير من العمل الذي لا بد من انجازه. فالاتفاق ليس النهاية وانما هو البداية.. البداية التي ستغير ترتيب اولوياتنا ولكنها لن تقلل من العبء علينا. ان المهم ليس مجرد التزاماتنا بالعمل الذي سيبني السلام، بل اعلن الرئيس نفسه انه ملتزم كليا بالاستثمار في هذه العملية.

لقد حضرت اجتماعا صغيرا مع الرئيس ونائبه بعد يومين من التوقيع على الاتفاق وبحثنا العمل الذي يجب القيام به. وسنعقد هذا الاسبوع ثلاثة اجتماعات في البيت الابيض ووزارة الخارجية لبحث سبل تعبئة التاييد للاتفاق وتنفيذه وتامين الاستثمارات الخاصة لتطوير الاراضي الفلسطينية والبحث عن مصادر غير تقليدية لتدريب الفلسطينيين ومساندتهم في اقامة بنيتهم الاساسية.

ان السلام لم يتحقق حتى الآن. ولم يتم حل كل القضايا. ولهذا فان هذا الوقت ليس وقت احتفال وانما هو وقت العمل الشاق. والنقاد يقولون لا. وهو امر سهل بالطبع، لانهم قانعون بالعيش مع الالم، الم المظالم الحقيقية التي حدثت في الماضي. وهذا مؤلم طبعا ولكنه سهل.

ان الشيء الصعب ولكنه صحيح ايضا وضروري هو الاعتراف بالانتصار البسيط الذي تم احرازه والاستفادة من الابواب التي سيفتحها. علينا ان نقبل حسن نية اولئك الذين سيعملون معنا من اجل ايجاد مستقبل افضل وعلينا ان نضع جانبا الالام والمطالبة بالانتقام مهما كانت المبررات وان نتعلم بدلا من ذلك بناء الحقائق الجديدة التي ستقود حتما الى دولة فلسطينية مستقلة والى ايجاد شرق اوسط اكثر امنا وازدهارا.

علينا ان نفعل ذلك لانه الصحيح ولان حياة الناس تعتمد عليه.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية